

تفسير ابن كثير

فَاعْرَضُوا فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ
وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ

وقوله : (فأعرضوا) أي : عن توحيد الله وعبادته وشكره على ما أنعم به عليهم ، وعدلوا

إلى عبادة الشمس ، كما قال هدهد سليمان : (وجئتك من سبأ بنبا يقين إني وجدت

امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من

دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون) [النمل : 22 ،

24] . وقال محمد بن إسحاق ، عن وهب بن منبه : بعث الله إليهم ثلاثة عشر نبيا . وقال

السدي : أرسل الله إليهم اثني عشر ألف نبي ، والله أعلم . وقوله : (فأرسلنا عليهم سيل

العرم) : قيل : المراد بالعرم المياه . وقيل : الوادي . وقيل : الجرد . وقيل : الماء الغزير .

فيكون من باب إضافة الاسم إلى صفته ، مثل : " مسجد الجامع " . و " سعيد كرز " حكى

ذلك السهيلي . وذكر غير واحد منهم ابن عباس ، ووهب بن منبه ، وقتادة ، والضحاك ؛ أن

الله ، عز وجل ، لما أراد عقوبتهم بإرسال العرم عليهم ، بعث على السد دابة من الأرض

، يقال لها : " الجرد " نقبته - قال وهب بن منبه : وقد كانوا يجدون في كتبهم أن سبب خراب هذا السد هو الجرد فكانوا يرصدون عنده السنابير برهة من الزمان ، فلما جاء القدر غلبت الفأر السنابير ، وولجت إلى السد فنقبته ، فانهار عليهم . وقال قتادة وغيره : الجرد : هو الخلد ، نقبت أسافله حتى إذا ضعف ووهى ، وجاءت أيام السيول ، صدم الماء البناء فسقط ، فانساب الماء في أسفل الوادي ، وخرّب ما بين يديه من الأبنية والأشجار وغير ذلك ، ونضب الماء عن الأشجار التي في الجبلين عن يمين وشمال ، فبيست وتحطمت ، وتبدلت تلك الأشجار المثمرة الأنيقة النضرة ، كما قال الله وتعالى : (وبدلناهم بجنّتهم جنّتين ذواتي أكل خمط) . قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وعطاء الخراساني ، والحسن ، وقاتدة ، والسدي : وهو الأراك ، وأكلة البرير . (وأثل) : قال العوفي ، عن ابن عباس : هو الطرفاء . وقال غيره : هو شجر يشبه الطرفاء . وقيل : هو السمر . فالله أعلم .
وقوله : (وشيء من سدر قليل) : لما كان أجود هذه الأشجار المبدل بها هو السدر قال :
(وشيء من سدر قليل) ، فهذا الذي صار أمر تينك الجنّتين إليه ، بعد الثمار النضيجة والمناظر الحسنة ، والظلال العميقة والأنهار الجارية ، تبدلت إلى شجر الأراك والطرفاء

والسدر ذي الشوك الكثير والثمر القليل . وذلك بسبب كفرهم وشركهم بالله ، وتكذيبهم

الحق وعدولهم عنه إلى الباطل; ولهذا قال :